" علاقة الإدراك الحسي بالكواليا"

أحمد محمد المدثر محمد عطية (*)

المقدمة

يُطلَق على عملية تلقي المثيرات وتفسير المعلومات واختيارها وتنظيمها مفهوم "الإدراك الحسي". ومن ثمَّ فالإدراك الحسي هو الذي يكفل المعرفة لكل فرد من خلال حواسه, ويشمل إدراك المعانٍ والرموز التي لها دلالة بالنسبة للمثيرات الحسية , وهناك أثار ذهنية تتركها الحواس في الذهن، فتتكون لدينا المدركات الكلية عن الأجناس بواسطة الذاكرة , لأنها تحتفظ بالمعلومات الجزئية المتفرقة , ثم تعيدها إلينا عند الموازنة والمقارنة لنصل إلى حكم كلي , والإحساس يحدث عندما يستقبل الحس مثيرًا ما أو تنبيهًا معينًا من البيئة الخارجية.

يرتبط الإدراك الحسي بفلسفة العقل ارتباطًا وثيقًا , تلك الفلسفة التي ينطوي تحتها مجموعة من القوى الإدراكية التي تتضمن الوعي ، والمعرفة ، والتفكير ، والحكم ، واللغة ، والذاكرة ، وغالبًا ما يعرف بملكة الشخص الفكرية والإدراكية حيث يملك العقل القدرة على التخيل والتمييز والتقدير وهو مسئول عن معالجة المشاعر والانفعالات ، مؤديًا إلى مواقف وأفعال.

إنه بحق الخطوة الأولى في سبيل المعرفة , وأساس العمليات العقلية الأخرى كالتذكر, والتخيل, والتفكير, والتصور, فكأن الإحساس إذن هو الأثر النفسي المباشر الذي ينشأ من تعرض حاسة من الحواس لمؤثر أو منبه خارجي.

كذلك يرتبط الإدراك الحسي بالكواليا التي تعد بمثابة الإدراك الحسي الداخلي فهي خواص كيفية عقلية للخبرات المختلفة كالخبرات اللونية وهي القدرة علي إدراك الأحاسيس الداخلية في الجسم بما في ذلك معدل ضربات القلب والتنفس, والجوع والشبع ودرجة الحرارة والألم وهذه خصائص الكواليا تسمي بالإستبطان التي من خلالها يصل الشخص إلي حالاته الذهنية الخاصة لتمييز أوجه التشابه والإختلاف بين التجارب من خلال التأمل الذاتي فضلًا عن الأحاسيس العاطفية وهو ما يسمى بالحس العميق وهو حاسة الحركة الذاتية فهو بمثابة جين مسئول عن معرفة الإنسان بذاته وما يدور بها من أحداث وهذه المعرفة الحسية الداخلية تختلف من فرد لآخر كلًا علي حسب إستجابته وانتباهه لأحداثه الذاتية فهناك موضوعات جمة أثارت إشكالًا عميقًا وهو ما يعرف بمشكلة الكيفيات العقلية, فالأحاسيس الداخلية تخضع لمستويات مختلفة من التحليل والوصف.

استخدم الباحث المنهج التحليلي والنقدي والمقارن, حيث تقتضي طبيعة لذلك.

الكلمات المفتاحية: تعريف الكواليا , الحس وتطور الكيفيات العقلية , خصائص الكواليا , كيف تنشأ الكواليا , تحديد موطن الكواليا

(*) هذا البحث مستلمن رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [الإدراك الحسي وعلاقته بتحقيق الوعي المعرفي بين الرواقية والأبيقورية]، وتحت إشراف: أ.د. محمود السيد مراد – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.م.د. محمد سليم محمد – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

Introduction

The process of receiving stimuli and interpreting, selecting, and organizing information is called "sensory perception." Sensory perception is what ensures knowledge for each individual through their senses, and includes the perception of meanings and symbols that have significance for sensory stimuli , There are mental traces left by the senses in the mind, and thus we form general perceptions about species through memory, because it retains the scattered partial information, then returns it to us when balancing and comparing so that we arrive at a general judgment. Sensation occurs when the senses receive a certain stimulus or alert from the external environment.

Perception is closely related to the philosophy of mind, which encompasses a set of cognitive faculties that include consciousness, knowledge, reasoning, judgment, language, and memory. It is often referred to as a person's intellectual and cognitive faculty, where the mind has the ability to imagine, discriminate, and appreciate, and is responsible for processing feelings and emotions, leading to attitudes and actions.

It is truly the first step towards knowledge, and the basis of other mental processes such as memory, imagination, thinking, and visualization. Thus, sensation is the direct psychological effect that arises from the exposure of one of the senses to an external influence or stimulus.

Sensory perception is also linked to qualia, which are considered internal sensory perceptions. They are mental qualitative properties of different experiences, such as color experiences, which is the ability to perceive internal sensations in the body, including heart rate and breathing , Hunger, satiety, temperature, and pain. These are the characteristics of qualia called introspection, through which a person reaches his own mental states to distinguish similarities and differences between experiences through self-reflection, in addition to emotional sensations, which is called proprioception, which is the sense of self-movement. It is like a gene responsible for a person’s knowledge of himself The events that take place in it and this internal sensory knowledge differ from one individual to another, each according to his response and attention to his own personal events. There are many topics that have raised a profound problem, which is what is known as the problem of mental qualities, as internal sensations are subject to different levels of analysis and description. The researcher used the analytical, critical, and comparative approaches, as required by the nature of the research.

Keywords: Definition of qualia, sensation and development of mental qualities, characteristics of qualia, how qualia arise, identification of the habitat of qualia

مشكلة الكيفيات العقلية والتفرد الإدراكي (الكواليا)

أ- الحس وتطور الكيفيات القدرات العقلية (Sense and development of mental abilities).

تعد دراسة الكواليا ضمن دراسة الوعي لان الكواليا هي الجوانب الكيفية للحالات العقلية , وهذه الحالات او الخصائص ذاتية والتي تمنحنا شعورًا فريدًا لكل تجربة علي سبيل المثال الشعور باللون الاحمر او الشعور بنغمة موسيقياً . وننوه إلى أن أول ما يواجه الفرد عند معرفته لطبيعة الكواليا لأول مرة هو تنوعها الهائل , وتنشأ الصعوبة عندما يحاول شخص ما إيجاد أوجه التشابه بين الألوان والأصوات. كيف يمكن لهذه المظاهر المختلفة للوعي أن يكون لها أي شيء مشترك ؟ عند إلقاء نظرة فاحصة , تظهر بعض الخصائص المشتركة مثل الذاتية والوجودية . ولكن على الرغم من أن كلٍّ من الأصوات والألوان ذاتية , ولكل منهما صفة معينة , فإن الاختلاف بينهما يطرح السؤال التالي: ما مدى اختلاف الصوت عن اللون ؟ ما الذي يجعل الصوت صوتًا واللون لونًا ؟ إجابة واحدة هو أن كل كوال له محتواه الخاص لكن هذا مجرد تلويح باليد , من أجل شرح الاختلاف حقًا , يجب تحديد المحتوى, ولكن ماذا يمكن أن يكون محتوى اللون الأحمر ؟. هل من الممكن حتى الإجابة على هذا السؤال ؟ من أجل القيام بذلك , نحتاج إلقاء نظرة ثاقبة على بنية الكواليا [١].

في مستهل الحديث تشمل الكواليا الصفات الحسية كالآلام والإحساسات الظاهرية والألوان والمشاعر ووخز الجوع والصور الحسية في العقل بعد توقف المنبه الخارجي . أما النوع الآخر فيشتمل على حالات المضمون مثل الاتجاهات الافتراضية والحالات القصدية "intentional" والاعتقادات والرغبات والتذكر وكذلك الانفعالات

والإدراكات وحالات القلق والتردد في الاختيار والتنبؤ , والحالات النفسية السيكولوجية مثل الشك والخوف والتوتر....الخ[٢].

([1]) Cosmin Visan : is Qualia Meaning or Understanding? Journal of Consciouness Exploration Research , 2014 , P.730.

([٢]) محمد توفيق الضوي : فلسفة العقل في العالم المادي , دار منشأة المعارف , ط١, اسكندرية , ٢٠٠٩م , ص١٢.

ولتوضيح ذلك فالكواليا هي مفرد "الكوال" وتشير إلى المادة الظاهرية التي ينتجها دماغنا والتي يتكون منها وعينا الذاتي أو معرفتنا الواعية . عندما تكون هناك شجرة خضراء في مستوى رؤيتنا , تنتج دماغنا , بناءً على إشارة من أعيننا عبر الأعصاب البصرية , مجموعة خضراء من الكواليا التي تمثل الشجرة التي تقع خارج أعيننا , فالشجرة هي السبب الأصلي لعملية الإدراك , والنتيجة النهائية هي معرفتنا الواعية للشجرة المبينة من الكواليا داخل الإدراك الذاتي لعقلنا الواعي[٣]. وكان الفيلسوف الأمريكي كلارنس إدفنج لويس . Lewis" "ClrenCe I هو أول من استخدم مصطلح الكواليا بمعناه الحديث المقبول عمومًا , وذلك في كتاب له بعنوان "العقل ونظام العالم" نُشر عام ١٩٢٩م ,حيث وصف فيه الكواليا بأنها تلك السمات الكيفية التي يمكن التعرف عليها من خلال المعطى[٤] حيث إن الكواليا هي آليات حيوية عصبية تتولد نتيجة للتعديل الثلاثي لكل من الأنظمة الحسية , ومساحة العمل العصبية الشاملة , وأنظمة تقييم الذاكرة , فهي سمات نوعية ملازمة لكل تجربة إدراكية , كتجربة إحتساء الكابتشنيو , وتجربة الإستماع إلى أوبرا واجنر تانهوزر بقيادة توسكانيني , وتجربة رؤية مشهد الغروب على شاطئ كوبا كابانا وهلم جرا [٥].

نستنتج من ذلك أن الكواليا هي خصائص الاستبطان للتجارب الحسية التي يمكن من خلالها تمييز أوجه التشابه والاختلاف بين تجاربنا من خلال التأمل الذاتي , قد أعرف من خلال التأمل الذاتي أن تجربتي البصرية للبرتقال تشبه تجربتي البصرية مع زنباع الليمون الفردوسي أكثر من تجربتي البصرية مع الليمون [٦].

وفي المقابل تم توسع الكواليا إلى التجارب الإدراكية غير الواقعية , مثل الهلوسة , والأحاسيس الجسدية مثل "الألم , الجوع , والحكة ,إلخ ...." والمشاعر مثل

([3]) Brent Allsop : Representational Qualia Theory , Journal of Consciousness, Exploration , vol I , Issue . 2. P. 195.

([٤]) صلاح عثمان : الواقعية اللونية قراءة في ماهية اللون وسبل الوعي به , منشأة المعارف , ط١, الاسكندرية , ٢٠٠٦ م , ص ١١٨.

([5])Carlos E. B. de Sousa BA , MA : the Nature of Qualia : Aneuro philosophical Analysis , Universitat Konstanz , Department of philosophy ,the degree of Doctor in philosophy , Konstanz , Germany , 2009 , P .182.

([6]) Pete Mandik : Qualia space and Control , 1999 , P.1 .

الغضب , والحسد , والخوف ... إلخ , والحالات المزاجية مثل "النشوة , الملل , القلق , إلخ ...."[٧].

خصائص الكواليا (Characteristics of qualia) :

١- **خاصة "private "** أي أن كل مقارنات الكواليا بين الأشخاص مستحيلة نسقيًا[٨] على سبيل المثال: عندما تشاهد من يأكل القرنبيط ، أراك تشاركهم في تناول القرنبيط الساخن بينما أنا أكاد أصاب بالغثيان لمجرد اشتمام اليسير من هذا الطعام ، وإنني لأتساءل كيف يتسنى لك التلذذ بذلك المذاق، وهذا يجعلني على قدر كبير من الحقيقة أن يكون للقرنبيط له عندك مذاق مختلف عما هو عندي. إن هذا الافتراض يبدو مقبولًا خاصة أنني أعلم أن نفس الطعام الواحد غالبًا ما أتذوقه بمذاق مختلف في أوقات مختلفة ، فعلى سبيل المثال: تذوقي لأول رشفة من شراب البرتقال صباحًا يبدو أكثر حلاوة منه في الرشفة الثانية إذا تناولت بين الرشفتين القليل من الفطائر وشراب الإسفندان ، أما بعد احتساء القهوة لمرة أو مرتين فإن مذاق شراب البرتقال يعود تقريبًا أو ربما تمامًا ، كما كان في الرشفة الأولى . فمن المؤكد أن يكون داخل كل منا ذات التصور ومن المؤكد أننا لسنا بمخطئين في هذا الأمر. والجدير بالذكر أن نتحدث عن مذاق العصير لدى دينيت في وقت ما ونتساءل ما إذا كان يختلف عن مذاقه لديها في وقت آخر , أو يختلف عن مذاقه لدى جونز .

إن هذا الاستنتاج يبدو سليمًا ولا غبار عليه، ولكن الحقيقة أنه قد جانب الصواب تمامًا. إن المرحلة الأخيرة تفترض أنه بإمكاننا عزل الكواليا عن كل ما يحدث، على الأقل من حيث المبدأ أو لغرض المناقشة . إن ما نطلق عليه الطريقة التي يبدو بها مذاق العصير لشخص ما يمكن أن تكون أبلغ من كونها مجرد تلازم محض أو سبب مساعد أو نتيجة ثانوية لتلك الطريقة الأساسية.

وتماشيًا مع ما تم ذكره لو عرضت هذه الحالات بعد تجريدها مما يعتريها إلا الضروريات تاركًا البقايا المألوفة كالمظهر الذي تبدو عليه الأشياء والملمس

---

(7) Peter Sena Gawu , Husein Inusah : the Problem of Qualia and Knowledg in Plato and Aristotale , University of Cape, 2019, coast , Ghana.p. 463

(٨) يوسف الهادي مصباح عون : المذهب الوظيفي دراسة في فلسفة العقل : رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة المنصورة , ٢٠١٦ م, ص٩٤.

والكيفية التي تُسمع أو تُشم أو تُتذوق بها على أفراد عدة في أوقات عدة بمنأى عن ما يتعرضون له من مثيرات وبمنأى عن ما يكون لديهم من ترتيبات للتصرف أو الاعتقاد بعد ذلك إن مجانبة الصواب لا تكمن في الافتراض إنه مع التدريب يصبح بمقدورنا القيام بتلك التنقية بشكل مؤكد , بل أن الخطأ الأساسي يكمن في افتراض وجود تلك الصفات المتبقية للتعامل معها بجدية مهما كانت محاولاتنا الفعلية لعزل تلك الحالات الغير مؤكدة . وكثيرة هي الأمثلة التي تضللنا في كل طريقة ; إنني لا أتصور ; ولا أعرف ; ولم يكن بمقدوري أن أعرف , كيف كان يبدو ألبوم باخ لعازفه جلين جولد إنني بالتأكيد أتذكر وقوع ألبوم باخ على مسامعي عندما كنت طفلًا . وإنني ليس في مقدوري الآن أن أعرف كيف يكون الحال لو أصبحت خفاشًا "ناجل ١٩٧٤ م" أو ما إذا كنت ترى نفس الذي آراه بذات اللون عندما ينظر كلانا إلى السماء الزرقاء الصافية .

إن تلك الحالات المألوفة لتقنعنا بحقيقة تلك الصفات الخاصة , تلك المذاقات والأشكال والنكهات والأصوات التي تتميز بصفة الذاتية , والتي نعزلها بشكل واضح من أجل تعريفها وتحديدها من خلال هذه التنقية الفلسفية . إن خصوصية تلك الصفات من الصعب تحديدها ولكن يمكن ملاحظتها في العمل من خلال ما يعرف بمضخة البديهة [٩].

استنادًا إلى ما سبق يعد الاختلاف الأساسي بين الكيفيات من جهة والظواهر الفيزيائية كالتنظيم الوظيفي والفسيولوجيا العصبية والسلوك , من جهة أخرى إن الكيفيات ذات طبيعة ذاتية وخاصة وشخصية بشكل غير قابل للاختزال , بينما الظواهر الفيزيائية ذات طبيعة موضوعية متاحة بشكل عام [١٠] وفي هذا الإطار من خصائص الكواليا أيضًا :

٢- **جوهرية "intrinsic" ;** بمعنى أنها خواص ليست علائقية "Non relational Properties" أي خواص لا تتغير اعتمادًا على علاقة الخبرة

([9]) David j. Chalmers : philosophy of Mind Classical and Contemporary Readings , printed in the United states of America , New York , Oxford University Press , 2002 , P. 228.

([١٠]) إدوارد فيسر: فلسفة العقل , إعداد قسم الترجمة بدار الفاروق للاستثمارات الثقافية , ط١ , القاهرة , ٢٠١٩م , ص ١٣٤ .

بأشياء أخرى [١١] وفي ضوء ذلك هل هناك فرق جوهري ومطلق بين الإنسان والآلة ؟

وهل من الممكن أن يكون هناك إنسان آلى واعٍ؟

بناءً على تلك المعطيات هل في استطاعة الأخوة جالو أن يستبدلوا متذوقي الخمر البشريين بماكينة ؟ إن وجود نظام حوسبي لمراقبة الجودة والتصنيف هو أمر ليس بالبعيد على وسائل التقنية الحالية, وفي ظل تلك المؤشرات إننا نعلم الآن ما يكفي عن الكيمياء ما يؤهلنا من صنع محولات الطاقة التي من شأنها أن تحل محل أعضاء الحس من الشم والتذوق , ولكن قد تسبب رؤية الألوان الدقيقة إشكالية ; وبإمكاننا تصور استخدام نتائج محولات الطاقة تلك كمادة خام للتقييمات التفصيلية والمواصفات والتصنيفات . ضع العينة في أنبوب وفي خلال بضع دقائق أو ساعات سيخرج لك النظام مقالًا كيميائيًا مطبوعًا متبوعًا بتعليق مثال: عنب ناعم الملمس وزاهي اللون , إلا أنه يفتقر إلى الصلابة , أو ما شابه ذلك من الصفات . ولعل تلك الماكينة تتفوق على متذوقي الخمر من البشر في كل اختبارات الدقة والثبات ; ووفق تلك الرؤية من المؤكد أن هذا النظام لن يتمتع بصفة الإحساس أو الانحياز ولن تكون على شاكلتنا حين نتذوق الخمر، أي لن تتصف بكواليا التجربة الإدراكية ، ومهما انطوى هذا النظام على خصائص معلوماتية وترتيبية ووظيفية فلا أحد من تلك الخصائص سيرقى إلى السمات الخاصة للكواليا، وإذا كنت تشاركني تلك البديهة فأنت تعتقد في وجود الكواليا[١٢].

لنفترض أننا قبلنا وصف الوظيفيون لحالات العقل كحالات وظيفية . هذا يعني أنك تملك حالة عقلية معينة , تشعر بالألم مثلًا , ففي حالة أنك في حالة توافق الوصف الوظيفي للحالة تلعب نوع معين من الدور السببي , حالة تستدعي استجابة الألم المميزة سلوكيًا وعقليًا : حَينئذ تكّون الاعتقاد أنك في حالة ألم , تكتسب رغبة في أن تأخذ خطوات للتخلص من الألم [١٣] حيث يصطحب الوعي الوظيفي حالة عقلية يدركها الشخص مباشرة ويستخدمها في توجيه السلوك أو التقرير اللفظي . ويري شالمرز أنه متى كان هناك وعي وظيفي , فخبرتي البصرية لكتاب أحمر اللون موضوع علي المنضدة تصاحبها إدراك وظيفي للكتاب لقد حدثت لى إثارة

---

(١١) صلاح عثمان : الواقعية اللونية قراءة في ماهية اللون وسبل الوعي به , ص ١١٩ .

(12) David j Chalmers : OP cit , P.228.

(١٣) يوسف الهادي مصباح عون : المذهب الوظيفي دراسة في فلسفة العقل , ص ٩٤.

بصرية صاحبها تسجيل من قبل أنساقي الإدراكية بأن هناك كتاب له شكل معين ولون معين موضوع على المنضدة، وهذه المعلومات متاحة لاستخدامها في السلوك . لدى وعى بسائر هذه التفاصيل ما يبرهن على ذلك أنه بإمكاني أن أعلق على كل منها وأن أشير إلى كل جزء من أجزاء الكتاب والعكس بالعكس كلما كان هناك وعى وظيفى كان هناك وعى ظاهرى ، فكل ما أعيه أمامى و له محتوى يمكنني تقريره ويمكن أن يوجه سلوكي ، هناك خبرة واعية مصاحبة له ، فمتى تمثل جهازي الإدراكي كلبًا ينبح ، كانت لدى خبرة ظاهرية عن الكلب الذى ينبح وكلما كنت على وعى بحرارة حولى صاحبها شعور بالحرارة وهكذا([١٤]) وتجدر الإشارة إلي السؤال الذي طرحه دينيت, ما الذي يسبب الاختلاف بين الآلة والكائن الحي فيما يتعلق بعملية الإحساس؟ هل بسبب الاصطناعية في الروبوت أم بسبب الاختلاف في الكيمياء والمواد العضوية التي يتكون منها الكائن الحي؟ لكن ماذا لو أمكن إبتكار روبوت مكون من مواد عضوية وكيميائية " بيوكيميائية" أي نسخة مطابقة للإنسان, هل سيكون بهذه الحالة أيضًا روبوت فاقدًا للإحساس, ويفتقر لأي عملية حسية تسمى ألمًا "apainless robot" ؟ إذا افترضنا جدلًا أن هذا الاختراع سيشعر بالألم, فما هو الاختلاف أو التغيير الذي يمكن أن يحدث له, إذا استخدمنا مواد أخرى ؟ هناك إجابتان على هذا السؤال.

أولًا: المركبات العضوية تكون قادرة على إدراك التركيبات الوظيفية, التي لها قدرات على التطور, أو التي تعمل من حيث المبدأ بطريقة لا يمكن إدراكها في المواد غير العضوية.

ثانيًا: بالرغم من أن النسخة العضوية المطابقة للإنسان قد تنجح في نسخ التركيب" أو النظام" الوظيفي للكيان البشري, وتتشابه " تتماثل" وظيفيًا الحالات التي تحدث بداخله مع حالات الألم البشري, إلا إنها تفشل في أن تكون حالات ألم حقيقية, لأن الإدراك أو الوعي بالحالة البيوكيميائية للألم مسألة جوهرية وحتمية ([١٥]).

علي هذا النحو يمكن القول ان شخصًا في حالة وعي متي كان لديه هذا الشعور ونقول عن حالة عقلية أنها حالة واعية متي كان هناك شعور بها. هذه الخصائص التي يتم الشعور بها تسمى أيضًا الخصائص الظاهرية qualities

(١٤) بهاء درويش : مرجع سابق , ص٥٤ ,٥٥ .
(١٥) محمد سليم :تفسير الوعي عند دانيال دينيت, ص ٤٠٨.

phenomenal . تكمن مشكلة تفسير الوعي في مسألة تفسير هذه الخصائص الظاهرية هذه المشكلة يراها شالمرز أصعب جزء في مشكلة العلاقة بين العقل والجسد([١٦])

كما أنها غير قابلة للوصف "ineffable" ; بمعنى أنها لا يمكن أن تكون محل تبادل إخباري أو تواصل لغوي , ولا يمكن إدراكها إلا من خلال الخبرة المباشرة [١٧].

والسؤال هنا ما الذي يميز الكواليا ؟ توحي التحليلات التقليدية ببعض الخصائص أن الكواليا لا يمكن وصفها ; وذلك لأن أحدنا لا يمكنه أن يقول لآخر عما يراه أو يشمه أو يتذوقه بطريقة مضبوطة , وذلك بغض النظر عن مدى فصاحة المتحدث أو مدى تعاون وسعة خيال المستمع . وفقًا للتقليد ; فإن من أسباب كون الكواليا غير قابلة للوصف هي أنها صفات داخلية وأنها إلى حد ما دقيقة وغير قابلة للتحليل . وحيث إنها تمتاز بالبساطة أو التجانس فلا شيء هناك نتشبث به لوصف تلك الخاصية لمن هو على غير إلمام بتلك الحالة التي نحن بصددها [١٨].

بناءً على ذلك : فإن كل المقارنات اللفظية هي ليست الوحيدة من بين ما نستبعده من تحققات بخصوص هذا الأمر . إن أي اختبارًا موضوعيًا فسيولوجيًا كان أو مجرد سلوكيًا , كتلك التي يمكن أن تطبق على جهازًا خياليًا لتذوق الخمر , قطعًا لن يحقق الهدف المنشود , وهذا ما يوحي به منطق أي فرد منا لذلك فإن كل المقارنات الشخصية لطرق الظهور هي على ما يبدو مستحيلة منهجيًا [١٩]. حيث تبين أن الوعي من ناحية , والسلوك والعلاقات السببية من ناحية أخرى , ظواهر مختلفة , حيث يمكن منطقيًا الحصول على أحدهما دون الآخر [٢٠] بمعنى آخر يمكن القول بأن للكواليا صفات خاصة بشكل جوهري. وأخيرًا ; حيث إن الكواليا هي خصائص للتجارب والخبرات فهي ليست جزءًا من الكبد أو قل ليست خصائصًا لتدفق الدم الدماغي ; فإن الكواليا يمكن الوصول إليها بشكل مباشر وجوهري عن طريق وعي

(١٦) بهاء درويش :مرجع سابق , ص٢٠

(١٧) صلاح عثمان : مرجع سابق , ص ١١٩.

(18) David j Chalmers : OP cit , P.228.

(19) Ibid : P .229.

(٢٠) يوسف الهادي مصباح عون : مرجع سابق , ص٩٦.

صاحب التجربة بكل ما يحمل هذا القول من معنى ; أو هي خصائص لخبرات الشخص ويكون الشخص على دراية بها بشكل مباشر وعن قرب , بكل ما يحمل هذا القول من معنى ; أو هي خصائص ظاهراتية آنية , بكل ما يحمل هذا القول من معنى,

وأخيرًا فهي تلك الخصائص التي يؤدي تقديرنا لقيمتها إلى التعرف على حالات الوعي لدينا , حيث يمكن القول بأن الكواليا من المفترض أن تكون خصائص للحالات العقلية للشخص تتميز بكونها لا وصفية وباطنية وخاصة , ويستوعبها الوعي بطريقة فورية مباشرة.

بهذا الوصف يتم تقديم الكواليا على المسرح الفلسفي وقد أكد أصحاب النظريات أن للكواليا خصائص مهمة جدًا لأنها تمثل حجر عثرة لا يمكن تجاوزه أمام النفعية الوظيفية أو بمعنى أوسع أمام المادية ; أو بمعنى آخر أمام أي وجهة نظر موضوعية بحته لطرف ثالث أو منهج موضوعي للعالم "ناجل١٩٨٦م" . وتجدر الإشارة أن نطالع وجهة نظر بديلة ترى أن الكواليا هي ببساطة خصائص ظاهراتية ونوعية للتجربة أو التجارب الحسية , وبفضل تلك الخصائص تتشابه الكواليا وتختلف فيما بينها نوعيًا [٢١].

في ضوء ذلك يقول شوميكر(shomekar) عند إيجاد تعريف وظيفي للتشابه النوعي , يمكننا تقديم تعريفات وظيفية لمصطلحات مثل "الألم" بطريقة تتخلص من الإشارة إلى كفاءات معينة لصالح القياس الكمي على الكواليا . بمعنى أنه يمكننا تعريف الألم "أ" على أنه حالة لها "ب" بعض السمات النوعية أو غيرها . العلاقات السببية كذا وكذا بالحالات والمدخلات والمخرجات الأخرى . وقد قدم شوميكر شكلًا للاقتراح الغامض بأن الوظيفة يمكن أن تتعامل مع مخاوف الكواليا من خلال اعتبار الألم كحالة يمكن أن يكون لها طابع نوعي مختلف في مناسبات مختلفة [٢٢] حيث يتوقف الأمر برمته على فحوى كلمتي "نوعي" و "ظاهراتي" إن شوميكر يفرق بين التشابه والاختلاف النوعي , والتشابه والاختلاف العمدي , أي

([21])David j. Chalmers : OP cit ,P. 229.

([22]) Ned Block : Are Absent Qualia impossible ?, Published by Cornell University , 1980, P.273.

تشابه واختلاف الصفات الذي تمثله التجربة . هذا أمر جليّ ; ولكن ماذا عن كلمة "ظاهراتي"؟

إن من بين الخصائص الغير عمدية أي التي تحدث دون وعي أو شعور بها او دون ادراك حقيقي بمجريات احداثها المتسلسلة قبل أن تصل إلينا , فهي صفات لحالتي السمعية وليس لتجربتي السمعية كالصوت الذي يتذبذب في الهواء لتصل الموجة الصوتية للأذن التي تتحول إلي ترددات داخل الأذن ثم إشارة يتم إرسالها إلي المخ , ثم يتم حذف بعض جوانب من هذه الإشارة ثم تحدث الاستجابة([٢٣]) وبالتالي النوعية للحالات البصرية خصائصها الوظيفية فهل تلك الخصائص هي ما يقصده شوميكر ؟ إنه لمن الواضح أن تلك الأنواع من السمات مستبعدة لكونها غير قابلة للإستبطان ; فهي صفات لحالتي البصرية على ما يبدو ولكن ليس لتجربتي البصرية وهي ليست بخصائص ظاهراتية. إلا إن بعض من حالاتي البصرية تتشارك في تشابه لا عمدي آخر وهو أنها تجعلني أفكر في الخلود إلى النوم ; واعتقد أن تلك السمة قابلة للإستبطان . وفقًا لأي تفسير مألوف . هل هذه خاصية ظاهراتية أم لا ؟ إن مصطلح ظاهراتي لا يعني بالنسبة لي أمرًا واضحًا وإنما يبدو كإيحاء يرجع بنا إلى الرأي السابق بأن الكواليا لا وصفية وخاصة ومفهومة بشكل مباشر [٢٤].

ج - كيف تنشأ الكواليا (How do qualia arise):

هنا لابد من بيان كيف تنشأ الكواليا؟ تعد الدوائر العصبية ذات المحتوى العام التي تستخدم المخرجات من مناطق القشرة المخية , وتعيد بثها ثانية كمدخلات إلى مناطق أخرى في القشرة المخية هي ذاتها التي تتعامل مع التجارب الإدراكية ; ومن ثمَّ فالتجارب الذاتية تنشأ نتيجة للاتصال العصبي الغير مباشر بين مناطق عدة بالمخ مختصة بالمجالات الحسية والحركية وغيرها من مجالات المعالجة المهادية للقشرة المخية .

من هذا المنطلق; يقوم الإدراك على مشاركة المعلومات بين أجزاء عدة بالمخ باستثناء الحالات التي تتم فيها تلك المشاركة بشكل كلي بواسطة اتصالات مباشرة

([٢٣]) بهاء درويش : التفسير الطبيعي المعاصر للوعي , منشأة المعارف , الاسكندرية , ط١ , ٢٠٠٩م , ص ٢٢.

([24]) David j. Chalmers : OP cit ,P. 229.

بين الشبكات العصبية ذات المحتوى المحدد "الأنظمة المعيارية". وحيث إن المحتوى الإدراكي يغلب عليه البيانات الواردة من القشرة المخية ; فإن تنظيم المعلومات الحسية في القشرة المخية قد يؤثر على البناءً النفسي للوعي الإدراكي; حيث إن نسبة كبيرة من دوائر القشرة المخية مختصة بوسيلة حسية واحدة ; فإن الطريق الذي من خلاله تدخل المعلومات الحسية إلى الجهاز العصبي قد يصبح أكثر سهولة لتمييزه الآن من قِبلْ الوعي الإدراكي عما كان في الماضي [٢٥].

وتجدر الإشارة إلى تقسيم كانط وعينا إلى قسمين , الإحساس والفهم . حيث تتكون الحساسية مما نختبره من حواسنا مثل : الألوان والأصوات والروائح والمشاعر. ومن ناحية أخرى يتكون الفهم من مفاهيم تقع تحت سيطرة العقل . على ما يبدو يعد هذا الإنقسام له ما يبرره . لكن هل هذا التقسيم أساسي ؟ أم أنها مجرد صورة ظاهرية ؟ دعنا نُلقي نظرة فاحصة على كلا الجزأين , لنبدأ بالفهم ونأخذ حالة يحدث فيها الفهم لنفترض أننا نريد فهم شيء ما, على سبيل المثال : نظرية فيثاغورس. من أجل القيام بذلك نأخذ كتاب رياضيات, ونقرأه لبعض الوقت ونحاول أن نفهم الحجة المنطقية المقدمة في صفحاته. بعد القليل من الجهد والتركيز, يحدث شيء جديد لفترة وجيزة من الزمن بحيث أنه مجرد لحظة فهمنا إذا ما حدث؟ ونتساءل ما تلك اللحظة التي فهمنا فيها نظرية فيثاغورس ؟ إذا ألقينا نظرة فاحصة عليها , نكتشف تلك الخصائص.

بناءً على تلك المعطيات, تعد طبيعتها ذاتية وجودية , لقد اختبرنا تلك اللحظة بطريقة ذاتية. ثانيًا : لها جودة أو حالة شعورية محددة في فهم نظرية فيثاغورس , وهناك شيء آخر مختلف لفهم نظرية النسبية , كلاهما لديه شعور خاص بهما . وفي المقابل دعونا نلقي نظرة على الحساسية , لنفترض أننا نريد رؤية اللون الأحمر, للقيام بذلك نأخذ كتابًا عن اللوحات ونفتحه على صفحة يتم فيها رسم تفاحة وعند رؤيتنا للون الأحمر , يعد هذا الأمر ذاتي , نختبره من قبلنا له جودة معينة من المظهر الأحمر وموحدة, إنها كيان واحد يسمى الأحمر [٢٦].

وفي ظل تلك المؤشرات لا يوجد فرق جوهري بين الفهم والحساسية , في حين يشير البعض أن هناك بالفعل فرقًا بالنسبة لحالة الفهم , حيث نأخذ بعض الوقت

([25]) Carlos E .B .de Sousa BA , MA : OP cit , P . 182.
([26]) Cosmin Visan : OP cit ,p. 730.

والجهد للوصول إلى الفهم , بينما الإحساس فلا, لكن هل هذا فرق حقيقي ؟ في ضوء ذلك يؤكد كانط أنه لا يوجد فرق والسبب عندما يكتسب المرء فهم نظرية فيثاغورس , في المرة التالية التي سيواجه فيها النظرية , سيفهمها ببساطة على الفور , بنفس الطريقة تمامًا التي يرى فيها المرء اللون الأحمر على الفور . على الأرجح إن الاختلاف ليس اختلافًا جوهريًا . بل اختلاف يتعلق بالدماغ بالنسبة لحالة الإحساس , هناك بالفعل مناطق متخصصة في الدماغ مسئولة عن التجربة المباشرة لكواليا الإحساس , أما بالنسبة لحالة الفهم فإن الهياكل المادية للدماغ مفقودة في أول لقاء مع الفهم . هناك حاجة إلى عملية تعلم , يتم من خلالها إنشاء الهياكل المادية المناسبة في الدماغ , وبعد إنشائها , سيأتي الفهم بنفس سهولة الإحساس , نتيجة لذلك فيما يتعلق بطبيعة الوعي فإن الفهم والإحساس هما نفس الظاهرة [٢٧].

ووفق تلك الرؤية إن الأنماط الحسية المتميزة يسهل ملاحظتها لأن لكل منها صفات فريدة غير مشتركة مع غيرها ؛ فبداخل المخ البشري هناك الكثير من الدوائر العصبية في الفص الأمامي والفص الصدغي والفص الجداري للقشرة المخية تستقبل معلومات من الحواس المختلفة والتي تكون بالفعل قد عُولجت بواسطة مناطق في القشرة المخية مختصة بالتعامل مع أنماط محددة [٢٨] وعليه فإن الأنماط الحسية إنتقائية , فهي على سبيل المثال تكتشف أنواعًا محددة من المثيرات البيئية كالمثيرات البصرية والسمعية والمثيرات المرتبطة بالشم , وما إلى ذلك وباختصار يمكن القول بأن الأنماط الحسية هي الوسيط بين الكائن الحي والبيئة، فهي تنقل للمخ معلومات حسية حيث تقوم بتحويل المثيرات البيئية المكتشفة إلى نبضات عصبية. وتعتبر عملية تحويل المثيرات البيئية المكتشفة إلى معلومات حسية دليلًا يثبت أولى السمات النوعية للأنماط الحسية ؛ وعلى الرغم من أن لكل نمط صفاته المحددة ؛ فإن آليات الأنماط الحسية ليست كافية لظهور الكواليا الذاتية بل يتطلب الأمر مزيدًا من المعالجة .

وبالرغم من أن تطور الكواليا أمرًا حقيقيًا ؛ فإن هذا التطور لم يكن كوظيفة محددة تمكّن الكائن الحي من الاستمتاع بمكونات تجربته ؛ بل كان استجابة للقيود البيئية . وهناك قيمة مرتبطة ببقاء الكائن الحي في تطور الأنظمة الحسية

(27) Ibid : p. 731 .
(28) Carlos E .B .de Sousa BA , MA : OP cit , P . 182.

المتخصصة التي تحول المثيرات البيئية إلى معلومات حسية ذات صفات محددة ؛ فهي تشير إلى تكاثر الكائن الحي واستمراريته في بيئة متغيرة متقلبة ؛ وعند امتلاك الكائن الحي لأنظمة حسية متخصصة يصبح بمقدوره التعرف على أنماط عديدة تنتشر في العالم من حوله واستخدام صفات بديعة لإنتاج استجابة أفضل. إلا إن القدرة على الاستمتاع أو النفور من بعض مكونات التجربة فهو أمر متعلق بالتجربة ذاتها أي أنه يأتي لاحقًا ؛ فالأولوية تكون للبقاء ثم يليها الاستمتاع بالمكونات النوعية العديدة القابعة في كل تجربة إدراكية ؛ وبناءً عليه فإن للكواليا أصولًا إرتقائية وذلك لأن الكائنات الحية يجب أن تكون محاطة علمًا بالظروف المحيطة. وعند اكتشاف المثيرات البيئية تظهر بعض الصفات معًا وذلك بسبب تحديد الأنماط والمعالجة الإضافية التي تتم في المخ بفعل الشبكات العصبية . ولإدراك مزيد من الصفات يصبح من الضروري الانتباه للمثيرات الحسية ؛ وهذا يتم بواسطة ما يسمى مساحة العمل العصبية العامة ؛ وهي مجموعة من الشبكات العصبية موزعة على القشور الحسية ذات وصلات صاعدة وهابطة متصلة بالفص الصدغي الأوسط " المهاد ؛ الحصين , اللوز, وأنظمة تقييم الذاكرة " فالمعلومات الحسية تكون بداخل الشبكات العصبية في مرحلة اللا شعور ؛ ويمكنها أن تكون في مرحلة ما قبل الشعور أو الشعور اعتمادًا على عملية الانتباه صعودًا ونزولًا مثل الاهتمام بسمات محددة أكثر أهمية من غيرها أو تجاهلها . بناءً على ما سبق لو أنصب موضوع الانتباه على شيء ما وخصائصه هنا يحدث تعديل الانتباه نزولًا وصعودًا مثل تنشيط عدد من الشبكات العصبية إثر الانتباه إلى سمات محددة كائنة بمشهد مُدرك . تلك السمات المرتبطة بمشهد مُدرك يتم معالجتها بواسطة أنظمة معيارية متخصصة " الشبكات العصبية"؛ ثم يتم ربطها معًا بواسطة تزامن الأنظمة العصبية العديدة ومساحة العمل العصبية العامة . يتم تحويل المعلومات من اللاشعور إلى الشعور عندما يعلوا التنشيط عن الحد الأدنى للمستوى عندها يتولد التنشيط بشكل متتابع " معالجة متكررة " مسببًا تنشيط للأنظمة العصبية الموزعة المتصلة بواسطة محاور عصبية طويلة المدى ؛ ويحدث نتيجة لهذا تزامن عدد من الأنظمة العصبية التي لها دور في معالجة المعلومات الحسية واستجابة لتلك النشاطات تنشأ مساحة عمل عصبية عامة تدخل من خلالها المعلومات الحسية[٢٩] يحاول الدماغ من خلالها إعطاء معنى للمدخلات الحسية, حيث يخبرنا علماء

([29]) Ibid: p.183.

الأعصاب أن هناك صراعًا داخل الدماغ لتصفية ما يجب الانتباه إليه من كل الحواس , أي الذي يجب أن يكون جزءًا من حزمة الإدراك الواعي(٣٠).

وعلى المستوى الظاهراتي , يقال: إن الفرد يكون مدركًا لتلك المعلومات أو تتوفر لديه إمكانية الوصول إليها , ولكن ليس هذا كل ما في الأمر بل أن هناك مزيد من التعديل يحدث بواسطة أنظمة تقييم الذاكرة, وتختلف أنظمة تقييم الذاكرة من فرد لآخر فهي تُبنى ويتم تنظيمها عبر تجارب شعورية متتالية على مر الزمن, وبناءً على هذه الحقيقة فإن كل فرد له سجل خاص ومتفرد وبالتالي يتميز بالذاتية , وبفضل ذلك التنظيم المتفرد وعندما تتصل المعلومات الحسية المتواجدة في فضاء الشعور بذلك السجل فإنها تتلقى صفات ذاتية متفردة تتواجد عند هذا الفرد دون غيره من الأفراد وبناءً على ذلك فإن المعلومات الحسية المتوفرة في مساحة العمل العصبية العامة تتلقى تعديلات إضافية بفعل أنظمة تقييم الذاكرة , التي تضع بصمتها على الخصائص المتفردة الخاصة. إن السجل القابع بالذاكرة يمتاز بالتفرد , ولكل فرد سجله الشخصي الخاص الفريد وما يحويه من ذكريات يتميز بالخصوصية والتفرد أيضًا . وبمقدور أنظمة تقييم الذاكرة تعديل المعلومات الحسية اعتمادًا على التجربة الحالية التي يمر بها الفرد . وحيث إن الذاكرة تعد خاصة بصاحبها . أي لفرد واحد دون غيره , فإن الشخصية الذاتية تنبثق من التعديل الثلاثي كنتيجة لآليات ثانوية عديدة أن المحتوى الشعوري الظاهراتي الذي يطرأ في التجربة يقوم على التفاعل بين ثلاث آليات كبيرة وهي:

أولًا: الأنماط الحسية .

ثانيًا: مساحة العمل العصبية العامة والانتباه.

ثالثًا: أنظمة تقييم الذاكرة .

بناءً على ما سبق , فإن الحالة النوعية الحالية التي يمر بها الفرد يمكن قياسها بواسطة تخطيط كهربية الدماغ , من خلال الكشف عن ذبذبات جاما العالية وبواسطة التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي لمعرفة المناطق التي تنشط في المخ أثناء التجربة الشعورية , وبواسطة تخطيط الدماغ المغناطيسي ومن ثمَّ يمكننا

(30) Lee Smolin and Clelia VerdeL: physics Time and qualia, perimeter Institute for Theoretical physics , Milano ,p.11.

القول بقدر من الثقة أن الشخص يمر بكواليا سمعية أو بصرية اعتمادًا على المناطق النشطة يمكننا التنبؤ بالمحتوى وما إذا كان بصريًا أو شميًا وما إلى ذلك فالخريطة التي ترمز إلى نقاط النشاط يمكنها أن تكشف عن نوع التجربة التي يمر بها الفرد أما الوصول إلى المحتوى الذاتي للفكر فإنه يبدو بالطبع مستحيلًا وذلك لأن الشخص هو الذي يكابد التجربة وليس الأدوات [٣١].

د - تحديد موطن الكواليا(Determine the habitat of the qualia) :

حري بنا التطرق إلى موطن الكواليا, والتساؤل المطروح هل يوجد موطن للكواليا؟ . إن محاولة تجنب الصعوبات التي واجهت تحليل الكائن والفعل للتجربة هو ما دفعنا للبحث ومن أحد صعوبات نموذج الكائن والفعل هو الطبيعة العصية للكائنات المحتوية على الكواليا ولقد اكتشفنا أنه ليس من بين الكائنات المرشحة ما يمكنه تقديم حل مرضي لمشكلة التمثيل بأمثلة ومشكلة السببية؛ وبعض من الكائنات المقترحة لم تكن مناسبة لحمل الخصائص الظاهراتية؛ في حين أن تلك الكائنات التي يمكن أن تتواجد بها الخصائص الظاهراتية لم يكن بوسعها الدخول في العلاقات السببية الملائمة لموضوع التجربة ؛ لذا لم يكن أي من الكائنات المرشحة موطنًا مُرْضيًا للكواليا .

وفي ضوء ذلك قدمت الظرفية أولى النظريات اللاعلائقية للتجربة , حلًا جزريًا للمشكلة ؛ فقد غضوا الطرف عن تقديم نوعًا آخر من الكائنات المقصودة تتواجد بها الخصائص الظاهراتية ؛ إن مؤيدي النظرية الظرفية يرفضون الطريقة التي يتم بها عرض المشكلة . حيث إن اكتشاف بعض الأنواع الخاصة من الكائنات المحتوية على الكواليا لن يحل مشكلة الخصائص الظاهراتية [٣٢] .

كما يمكننا إيجاد أولى الخطوات الهامة لحل لمشكلة الكواليا والتي تتمثل في التبصر في وجود خطأ في التصنيف , في الافتراض بأن المستندات الخاصة بالصفات الظاهراتية تقوم مقام خصائص الكائنات المقصودة . إن القول بأن تلك المصطلحات تقوم مقام أنواع الإحساس قد مكّنَ مؤيدو نظرية الظرفية أن يتغلبوا

([31]) Carlos E.B.de Sousa BA,MA: OP cit , p.183.

([32]) Stube berg Leopold : Consciousness and qualia ,degree of Doctor of philosophy , the University of Arizona , 1992 , p. 253.

بدهاء على المشكلة الشاقة الممثلة في تخصيص نوع من الكائنات تتواجد فيها الخصائص الظاهراتية ؛ وهم في ذات الوقت ذاته يقدمون لنا وظيفة جديدة وغير متوقعة للكوواليا ؛ فيتحول الكواليا إلى تعديلات ظرفية لمسألة ما, فإن الفعل يصبح غير ضروري ؛ ومن هذه الزاوية يمكن القول بأن الكواليا قد حققت نجاحًا [٣٣] ولكن هذا الأمر قد دعانا إلى التساؤل : هل يعني ذلك وجود عوالم عقلية ذاتية مختلفة يصعب الربط بينها على خلفية الأساس المادي للجسد أو الكائنات المقصودة ؟ [٣٤].

وفي ظل تلك المؤشرات كيف تتعامل فلسفة الأحادية المحايدة مع هذا التفسير ؟ وبأي طريقة تمتثل الخصائص الظاهراتية إلى الإدراك الناتج عن دمج الإحساس مع البيانات الحسية ؟ وبأي معنى يمكن أن تتواجد الخصائص الظاهراتية في الإدراك؟ إذن فما هو التصنيف الوجودي الذي تندرج تحته المدركات ؟ فلو أجابنا مؤيدو نظرية الأحادية المحايدة بأن المدركات هي كائنات من نوع ما تتسم بالخصائص الظاهراتية فإنهم سيواجهون نفس الصعوبات التي واجهها صاحب فكرة الكائنات المقصودة . وهذا ما دعانا إلى التأكيد مرارًا على المشكلات الناجمة عن الرأي القائل بأن الكواليا يمكن اعتبارها خصائص لكائن ما , وذلك لأن تلك الكائنات لا وجود لها ؛ ولو أن القول الفصل للأحادية المحايدة هو اعتبار المدركات مواد والخصائص الظاهراتية هي صفات لها ؛ إذن فالفلسفة الأحادية المحايدة قد وقعت في مأزق .

لكن مؤيدو الأحادية المحايدة لا ينزلقون إلى هذا الفخ . إن إلتزامهم الشديد بتجربتهم المغالية وولائهم لمبدأ الشح الوجودي يدفعهم لإظهار النفور الواضح من المواد ؛ ولذا فإن النموذج الذي يفسر بناءً عليه المدركات ليس نموذجًا للمادة وسماتها بل الأحرى هو نموذجًا لحزمة من الخصائص ؛ فبدلًا من القول بأن المُدرك هو مادة تتواجد بها الخصائص الظاهراتية ؛ فإن مؤيدي الأحادية المحايدة يقولون بأن المُدرك هو مجرد حزمة تربط الخصائص الظاهراتية بشكل ملائم [٣٥].

([33]) Ibid : p. 254.

([٣٤]) صلاح عثمان : الواقعية اللونية قراءة في ماهية اللون وسبل الوعي به , ص ١٢٢ .

([35]) Stube berg Leopold : OP cit , p. 254.

ووفق تلك الرؤية يرى راسل أننا نختبر الصفات وليس المادة التي تتواجد فيها تلك الصفات ؛ حيث إن تقديم المجهول يمكن تجنبه بشكل عام أو ربما بصفة دائمة , عن طريق التدابير الفنية الملائمة . وحسب هذا التوجيه الذاتي ؛ فإن راسل يقترح التخلي عن أشياء جوهرية في مقابل الأخذ بأشياء تتشكل فقط من جملة خصائصها . إن أحدنا ليميل إلى اعتبار هذا يكون أحمر " على أنها عبارة لها مُسند ومُسند إليه ؛ فإذا تم ذلك فإن أحدنا ليجد أن هذا قد أصبح مادة أي شيء مجهول له مسندات , إلا أنه مع ذلك لا يتوافق مع مجموع تلك المسندات , ومثل هذا الرأي يصبح عُرضة لكل الاعتراضات المألوفة لفكرة المادة . وإنني أميل لاقتراح أن " هذا يكون أحمر " ليس عبارة بها مُسند ومُسند إليه , بل من شاكلة " الاحمرار يكون هنا " وبالتالي يكون " أحمر " هو اسم وليس مسند ؛ وأن ما يقال عنه شيء هو ليس بشيء بل حزمة من الصفات المتواجدة معًا كالاحمرار والصلابة .....الخ

ويناقش راسل مشكلة كيفية إقحام فكرة " المكان " فيصف موقفًا يجرب فيه الشخص بقعتين حمراوين إنه يتحدث عند أمور ذهنية بالإضافة إلى أن حديثه يوضح لنا أنواع الصفات التي يبني منها راسل المدركات " هب أننا رأينا في ذات الوقت بقعتين لظل لون ما " س " وكانت إحداثيات الزوايا لإحدى البقعتين في الفضاء المرئي " أ , ب " وإحداثيات البقعة الأخرى" أ , ب " فإننا نقول بأن اللون " س " كائن بالإحداثيات " أ , ب " وأيضًا بالإحداثيات " أ , ب" إن إحداثيات شيء ما في الفضاء المرئي يمكن أن ينظر إليها على أنها صفات له ؛ إذن " س , أ , ب " هي حزمة من الخصائص وكذلك " س , أ , ب" هي حزمة أخرى ؛ فلو عرفنا شيئًا ما على أنه حزمة من الخصائص مثلًا "س , أ , ب" فبالتالي يمكننا القول بأن ذلك الشيء متواجد بالمكان" أ , ب " وبالتحليل أيضًا " يمكننا القول بأنه غير متواجد في المكان " أ , ب " [٣٦] لذلك أي مظهر من مظاهر المحتوى التمثيلي الذي تظهره الأحاسيس يجب أن يكون موروثًا من الحكم الضمني الذي نتخذه بأن ما هو موجود للعقل له نظير مماثل في الواقع [٣٧].

([36]) Ibid : p. 255 .

([37]) Raffaella de Rosa : the Myth of Cartesian qualia , journal Compilation, University of Southern California and Blackwell publishing , ltd , p. 183 .

وفقًا لديكارت, فإن الإحساس بالألم واللون وما شابه ذلك لا يشبه أي صفة حقيقية للمادة المادية [٣٨] ويوضح لنا فيلسوف التجريبية المنطقية ألفريد جولز آير " A.J, Ayer "(١٩١٠-١٩٨٩) ملخصًا السمات الأساسية للتفسير السابق أنه من الممكن على الأقل في أدنى مستويات المنطق الاستغناء عن المواد ,في تصور رسل، فالخصائص الحسية لا تحتاج إلى أساس ليدعمها ؛ كما أنه من الممكن الإبقاء عليهم معًا , حسب اعتقاده , من خلال علاقة توافقية [٣٩].

تجدر الإشارة إلى توضيح نموذج الشيء والفعل والتجربة , ولقد استمرت المناقشة مرتكزة على الافتراض القائل اعتبار الخصائص الظاهراتية سمات للمواد التابعة لها. إن الصعوبات التي واجهتنا في فرضية السمة والمادة لتقودنا إلى النظر في نظرية مؤيدو الظرفية عن الإدراك ، ففي تلك النظرية يتم تفسير الخصائص الظاهراتية على أنها أنواع من الأحداث الحسية . إن العرض الأخير المتمثل في نظرية الحزمة يشرح تواجد الخاصية الظاهراتية في الشيء الذي تصفه كحالة من الظهور المشترك لتلك الخاصية وكل الخصائص الظاهراتية الأخرى التي كما نقول عادة يشتمل عليها الكائن. إن المادة من المفترض أنها مطلوبة لتدعيم كل تلك الخصائص ، تم محوها لاعتبارها زائده [٤٠].

استنادًا إلى ما سبق تعد نظرية الحزمة توليفة طيبة لكل ما هو محمود في النظريتين المنافستين فهي تحتفظ بالملامح الجيدة لكلٍّ من نظرية السمة والمادة والنظرية الظرفية دون أن تنسب إليها أي مشكلة من المشكلات التي واجهت هاتين النظريتين ، ومما يُمدح ويُشاد إليه في نظرية السمة والمادة هو أنها تنظر للخصائص الظاهراتية على أنها فقط خصائص للأشياء بينما تحقق النظرية الظرفية في ذلك حيث إن الدور الذي تُنيطه بالخصائص الظاهراتية يظل غامضًا . ومما يشاد إليه في النظرية الظرفية هو أنها تتخلص من الكائنات المقصودة الغير مألوفة التي من المفترض أنها مطلوبة لدعم الخصائص الظاهراتية ، أما نظرية السمة والمادة فهي تخفق في هذا الأمر من حيث إن حاجتها إلى أساس وركيزة لدعم الخصائص الظاهراتية يُحدث العديد من المشكلات ، أما نظرية الحزمة فهي مزيج موفق من هاتين النظريتين فهي تتشابه مع نظرية السمة والمادة في تعاملها مع

(38) Raffaella de Rosa : OP cit , p. 183 .
(39) Stube berg Leopold : OP cit , p. 256.
(40) Stube berg Leopold : OP cit ,p.256 .

الخصائص الظاهراتية على أنها خصائص أصلية حقيقية ، كما أنها تتشابه مع النظرية الظرفية في عدم احتياجها إلى الأساس البغيض . إن نظرية الحزمة تقدم لنا خصائص ظاهراتية أصلية لا يشوبها عبء غموض وضبابية المواد.

وفي ظل تلك المؤشرات حتى تتضح الرؤية ،إن تمثيل الصفة دون أن يكون هناك ما يقوم بهذا التمثيل هو عبث لا معنى له ، لأن المواد الداعمة للصفات هي ليست اختراعات لا مبرر لها من الميتافيزيقا الشريرة ، بل أن مفهوم تمثيل الصفة يتطلب ذلك، فلا يمكن تقبل فكرة تمثيل الصفة بلا أساس [٤١] فكيف إذن يمكننا التصدي لمؤيدي الأحادية المحايدة ؟ ففي أحد أقوالهم تجد أنهم يجعلون من الكواليا كائنات بلا موطن ، ويسلبونها المادة التي تتواجد فيها، ولسنا في حاجة إلى الإشارة بأن هذا القول مضللًا، ويمكننا إيضاح الأمر بطريقة أفضل بقولنا أن اللون الأحمر الظاهراتي الذي آراه عندما أختبر ثمرة الطماطم بصريًا ، ليتواجد في ذلك الكائن الذي هو بمثابة حزمة من الخصائص الظاهراتية أختبر بها ثمرة الطماطم ، وهذا مفاده أن ذلك اللون الأحمر الظاهراتي هو واحد من حزمة الخصائص الظاهراتية المتآزرة التي تشكل معًا ثمرة الطماطم التي أَختبرها .

ومن زاوية أخرى هناك وجه ما يمكن من خلاله لمؤيدي الأحادية المحايدة أن يعترفوا بأن اللون الظاهراتي لثمرة الطماطم ناتج عن كائن ما ، وذلك الكائن ليس أساسًا إشكاليًا أو مادة إشكالية بل حزمة من الصفات الظاهراتية إنها ماده فقط بالمعنى الميتافيزيقي لا تسبب إشكالًا يجعل منها كائنًا يمكننا القول عنه أن له خصائص ظاهراتية . بهذه الكيفية يذهب مؤيدو الأحادية المحايدة إلى توطين الكواليا دون الانجراف إلى إشكالية الكائنات الحاملة للكواليا [٤٢] وتلك الجوانب الشعورية المتعلقة بالأشياء ، أي طريقة النظر إليها ولمسها وتذوقها يطلق عليها الفلاسفة اسم الكيفيات . فالجوهر شيء قائم بذاته ، وهو عكس الخاصية كالاحمرار أو الطول أو الوزن التي لا يمكن أن توجد بعيدًا عن الجوهر الذي يتسم بها [٤٣].

([41]) Ibid : p .257.

([42]) Ibid : p .258.

([٤٣]) إدوارد فيسر : فلسفة العقل ، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية , ط١، القاهرة ،٢٠١٩م، ص٢٧-٣٣.

الخاتمة

أولًا: بلغت وسائل التقنية الحديثة ذروتها في الوصول إلى نظام حوسبي لتحليل وقياس وحدة وجودة المادة, وتصنيفها على أعلى قدر من الدقة التحليلية , وبالرغم من وجود فرق جوهري ومطلق بين الإنسان والآلة إلا إنه يمكن للآلة أن تتفوق على الإنسان في اختبارات الدقة والثبات , ولكنها تفتقر لعملية الإحساس والشعور, وردود الأفعال التي تظهر على الإنسان في القبول أو الرفض, فلا يمكن لهذا النظام أن يرقى إلي السمات الخاصة للكواليا أي لن يتصف بكواليا التجربة الإدراكية.

ثانيًا: من خصائص الكواليا أنها خاصة, ويرجع ذلك إلي اختلاف خصوصيتها بين الأفراد ففي حالة التذوق مثلًا نجد الاختلاف الملحوظ في تقبل ذلك الطعام أو رفضه, فمن المؤكد أن يكون داخل كل منا تصور يمتاز بخصوصيته الفريده يختلف عن الآخرين.

ثالثًا: أكد راسل علي اختبار الصفات وليس المادة التي تحمل تلك الصفات, كما أشار إلى أن المدركات ليست نموذجًا للمادة وسماتها, بل الأحرى نموذجًا لحزمة من الخصائص, حيث يرى راسل أننا نختبر الصفات وليس الماة التي تتواجد فيها تلك الصفات, كما يمكننا تجنب المجهول بشكل عام أو بصفة دائمة.

رابعًا: وقفت نظرية السمة والمادة سدًا منيعًا لهذا الأمر واعتبرت أن ذلك عبث لا معنى له, لأن الصفات أو الخصائص لابد لها من أساس أو ركيزة لدعم هذه الخصائص الظاهراتية, فلا يمكن تقبل فكرة تمثيل الصفة بلا أساس.

خامسًا: يؤكد كانط أنه لا يوجد فرق جوهري بين الفهم والإحساس , ولكن الأرجح يعد للإحساس أسبقية على الإدراك , كما يعد هذا الربط المطلق مبالغ فيه.

قائمة المصادر والمراجع

أ ـ المراجع العربية والمترجمة إليها

إدوارد فيسر :١- فلسفة العقل , إعداد قسم الترجمة بدار الفاروق للاستثمارات الثقافية , ط١ , القاهرة , ٢٠١٩م

افراح لطفى عبد الله :٢- الفلسفة فسيولوجيا العقل وعلم تشريح الأفكار، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢ م.

أميرة حلمي مطر :٣- الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م.

بهاء درويش : ٤- التفسير الطبيعي المعاصر للوعي , منشأة المعارف , الاسكندرية ,ط١ , ٢٠٠٩م , ص ٢٢.

_____ :٥- فلسفة العقل عند دونالد دافدسن، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

صلاح عثمان :٦- الواقعية اللونية قراءة في ماهية اللون وسبل الوعي به , منشأة المعارف , ط١, الاسكندرية , ٢٠٠٦ م

ماريو بونجي : ٧- المادة والعقل, ترجمة. صلاح إسماعيل, المركز القومي للترجمه, القاهرة,ط١, العدد ٣٠٢٧, ٢٠١٩م

محمد توفيق الضوي : ٨- فلسفة العقل في العالم المادي , دار منشأة المعارف , ط١, اسكندرية , ٢٠٠٩م.

محمد سليم محمد : ٩- تفسير الوعي عند دانيال دينيت, مركز الدراسات البردية والنقوش, جامعة عين شمس, العدد٣, القاهرة, ٢٠١٦م.

مصطفي النشار :١٠- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ج١، ١٩٩٨ م .

ب- الرسائل العلمية العربية

وفاء فرج عبدالسلام العيساوي : ١- المذهب الطبيعي البيولوجي عند جون سيرل ، رسالة ماجستير, كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، ٢٠١٧م.

يوسف الهادي مصباح عون :٢- المذهب الوظيفي دراسة في فلسفة العقل : رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة المنصورة , ٢٠١٦ م

جـ – المراجع الأجنبية

- **Allsop. Brent :** **1- Representational Qualia Theory , Journal of Consciousness, Exploration , vol I , Issue . 2.**
- **Block, Ned :** **2- ARE ABsENT Qualia impossible , Published by Cornell . university , 1980.**
- **Pete Mandik :** **3- Qualia space and Control , 1999**
- **De Rosa, Raffaella :** **4- the myth of Cartesian qualia , gournal compilation, university of southern california and bllackwell publishing , ltd.**
- **David j. Chalmers :** **5- philosophy of Mind Classical and Contemporary Readings , printed in the United states of America , New York , Oxford University Press , 2002 ,**

- **Inusah, Peter Sena Gawu, Husein** : **6- the Problem of Qualia and Knowledg in Plato and Aristotale , university of Cape Coast , Ghana , 2019.**

- **Sousa.,Ba,Ma Carlos.E.B.de** : **7- the nature of Qualia : Aneuro philosophical Analysis , universitat Konstanz , Department of philosophy ,the degree of Doctor in philosophy , Konstanz , Germany , 2009 .**

- **VerdeL, Lee smolin and clelia** : **8- physics time and qualia, perimeter institute for theoretical physics , Milano.**

- **Visan, Cosmin** : **9- is Qualia meaning or understanding? Journal of Consciouness Exploration Research , 2014 .**